المعجم الشعري والحقول الدلالية في شعر روضة الحاج

د. عبد الله محمد الأمين *

المستخلص:

عنوان البحث: (المعجم الشعري والحقول الدلالية في شعر روضة الحاج) عنيت هذه الدراسة بالمعجم الشعري والحقول الدلالية في شعر روضة الحاج، حيث تقاسمت هذا المعجم ثلاثة حقول دلالية، وهي أكثر الحقول تداولًا في النص الشعري لدى الشاعرة، وتفاوتت استعمالاتها بحسب كل حقل. الهدف من هذا البحث تناوُلُ المعجم الشعري والحقول الدلالية وبيان أثرها في نقل الأفكار التي قصدت الشاعرة توصيلها إلى المتلقي قارئاً كان أم سامعاً. واكتسب البحث أهميته بإسهامه في تعريف القارئ العربي والإسلامي بالشاعرة وبجانب من جوانب الإبداع الشعري لديها.

الكلمات المفتاحية:

روضة الحاج، المعجم الشعري، حقل الوطن، حقل الطبيعة، وحقل الرحيل.

ABSTRACT:

Title: poetic lexicon and semantic fields in Rawdha Alhaj poetry

This study is meant with poetic lexicon and semantic fields in Rawdha Alhaj, this semantic fields and lexicon was shared by three poetic texts. Fields have traded the poet, uses varied according to each field.

* أستاذ الأدب والنقد - جامعة المجمعة -قسم اللغة العربية- كلية التربية بالزلفي.

The goals of this research have a poetic lexicon and semantic fields and their impact statement in conveying ideas, which meant the poet connected to the receiver, or hearing about Lector.

The research gained important contribution to Arab and Islamic reader, poet and an aspect of poetic creativity.

Key words :{ Rawdha, poetic lexicon, homeland field, nature field and departure field}.

المقدمة:

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله، ومن والاه، واتبع هداه، ومن سار إلى نهجه وترسم خطاه وبعد.

فإنّ ما حفّزني أكثر إلى خوض غمار هذه البحث طرافة الموضوع وجدته وقلة الدراسات في مجال المعجم الشعري لدى شعراء العربية قديماً وحديثاً، وانعدامه تماماً بالنسبة للشعر السوداني، وتوجد دراسات قليلة تتناول المعجم الشعري، مثل دراسة المعجم الشعري عند الأخطل الصغير. للدكتور أحمد محمد قدّور في كتابه "اللسانيات وآفاق الدرس اللغوي" كما أن هناك العديد من الدراسات في الجامعات العربية وخاصة المغربية، نال بها أصحابها شهادات الماجستير والدكتوراه التي تناولت جوانب معينة في مجال المعجم الشعري والدلالة.

واختيار شعر روضة الحاج[1] إيماناً مني بضرورة البحث في النتاج الشعري السوداني حتى نميط اللثام عنه، ونقدمه للأجيال السودانية من جهة، وللقارئ العربي من جهة أخرى، ثم لبراعة الشاعرة اللغوية

[1] شاعرة سودانية، لها حضور محلي وعربي، رئيسة اتحاد الأدبيات العربيات نافست في برنامج شاعر المليون مما أسهم في شهرتها عربيا، فازت بجائزة سوق عكاظ في دورتها الأولى في عام 2012م، لها عدد من الدواوين منها: عش للقصيد، للحلم جناح واحد، في الساحل يعترف القلب، مدن المنافي، ضوء على أقبية السؤال. صار شعرها مادة للدراسات العليا في بعض الجامعات العربية؛ حيث نالت باحثة سعودية من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية درجة الماجستير في شعرها تحت عنوان: (الاغتراب في شعر روضة الحاج "د راسة أسلوبية").

التي تجلت في إبداعها حتى جعلت صاحبته مع أسباب أخرى . تتربع على عرش الشعر العربي متّشحة ببردة سوق عكاظ.

. ومن بين الأسباب أيضًا أنهّ لفت نظري وأنا أبحث في مجالات أخرى في شعر روضة الحاج ظاهرة وجود ألفاظ بعينها تدور في فلك شعرها في استخدامات متعددة بحسب احتياج البنية النصيّة، وما يتصل بالمضامين في سياقات النصوص الشعرية، إلى جانب حاجة المكتبة الأدبية السودانية إلى هذا النوع من الدراسات.

ولطبيعة الموضوع فقد اعتمد الباحث في دراسته على المنهج التكاملي بوصفه المنهج المناسب لتتبع هذه الظاهرة، ورصدها في دراسة فنية تستجلي الجوانب اللغوية في معجمها الشعري.

وقد فرضت طبيعة البحث خطة رسمتها على النحو التالي:

ـ مقدمة، ومبحث أول يحتوي على الدلالة اللغوية والاصطلاحية للكلمة، وأهمية المعجم لدى الشعراء.

أما المبحث الثاني: فقد خصصته للدراسة التفصيلية في المعجم الشعري والحقول الدلالية في شعر روضة الحاج، حيث حصرته في ثلاثة حقول، وهي أكثر الحقول تداولاً في نصوصها الشعرية، وقد تفاوتت في الكمية اللغوية نظرًا لطبيعة مجال استخدامات الشاعرة.

ومن الصعوبات التي واجهتني انعدام أو ندرة الدراسات التطبيقية للدواوين الشعرية في المنتج الابداعي السوداني، ثم تنوع الأطلس اللغوي عند الشاعرة روضة الحاج مما يفضي إلى تداخل هذه الحقول فيما بينها، فأحياناً تجد مفردة تصلح أن توضع في أكثر من حقل.

وختمت الدراسة بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصلت إليها مع قائمة تضمنت أهم المصادر والمراجع.

المبحث الأول

الدلالة اللغوية والاصطلاحية لكلمة معجم

أولًا- الدلالة اللغوية:

وردت مادة (معجم) في عدة مواضع بمختلف الأوزان والمصادر، فالفعل (عجم) يعجم عجمة يوصف به الذي لا يتحدث بلسان فصيح (فالأعجم كل صوت لا يفهم إرادته إلا ما كان من جنسه)(الجاحظ، 1992م، ص 25)، أي ما سيفهم من الكلام، فمادة عجم تفيد الإبهام والغموض وعدم الوضوح، (ابن جني ، 1985م، ص36)، والأعجمي هو كل ما ليس بعربي، وفي صدد عدم الظهور والوضوح أطلقت مادة

عجماء على الصلوات السرية من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: (إذا قام أحدكم في ظلمة الليل فاستعجم القرآن على لسانه فلم يدري ما يقول فليضطجع) (أبو السعادات الجزائري ، 1979م ، ص210) فالأعجمي يقصد به هنا كل من ليس بعربي، أو كل من لا يتقن العربية.

وقد ذكرت مادة (عجم) في القرآن الكريم أربع مرات، قال تعالى(ولقد تعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين) النحل . الآية 103، وقوله تعالى: (ولو نزلناه على بعض الأعجمين)، الشعراء . الآية . 198 وقوله تعالى:(ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته أعجمي وعربي قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد) الشعراء . الآية . 198، والملاحظ أن كل الآيات الكريمة تتراوح في المعنى بين عدم الوضوح والإبانة، أو التعريف بينهما هو عربي ومن هو ليس بعربي.

ثانيًا- الدلالة الاصطلاحية لكلمة معجم:

إذا كان المعجم لغة يشير في إحدى معانيه إلى الإبهام، فإن من بين ما يشير إليه في الاصطلاح هو التوضيح والتبيان فأعجم الكتاب: أي أزال عجمته ووضحه) وقد شهدت هذه الكلمة تطوراً كغيرها من الكلمات العربية، فقد أصبح مجالها أوسع من أن تضبط في الغموض أو البيان فلا يمكن حصرها في هذه الثنائية، وهذا ما سنجده في موضوع بحثنا فمعنى المعجم الشعري سيختلف قليلاً عن معناه الأصلي ليصبح دالاً على (مجموعة ألفاظ متكررة أو مرادفات لها يؤدي إلى نفس المعنى أو تجانبه أو تقاربه) (محمد مفتاح،1989م، ص 58.)

فتتشكل لنا أو لدينا حقول دلالية كحقل الطبيعة مثلاً فالمعجم الشعري إذا يهدف إلى الإحاطة بألفاظ الشعر أو التراكيب، فيفيدنا هذا التصنيف . أحياناً . بتحديد الغرض من القصيدة أو المقطوعة الشعرية، وهو نقطة التفريق بين أنواع وفنون الخطابات الشعرية (فكل شاعر في الأرض وصاحب كلام موزون فلابد أن يكون قد نهج وألف ألفاظاً بأعيانها ليديرها في كلامه لتحقيق مقاصده، فمثلاً إذا كان يريد الرثاء يختار من الألفاظ ما يناسبه، كذا الأمر بالنسبة للمدح والهجاء ومختلف المقاصد الشعرية) (الجاحظ،1992م، ص 216).

وفي الاتجاه نفسه نجد المعجم الشعري . أيضًا. هو مرآة عاكسة لكل عصر من خلال الألفاظ المتداولة في القصيدة قد تتعرف على ذلك العصر والزمن فلغة النص تعكس عصر الشاعر) (محمد مفتاح،

ص58)، وذلك بتوظيف كلمات معينة كأن نجد السيف والقرطاس والرمح فندرك آليًّا أنّه يرجع بنسبة كبيرة إلى القديم أو أنّ ثقافة الشاعر متأثرة بالثقافة القديمة، مثل ما نجد في شعر الدكتور عبدالله الطيب مفرداته موغلة في القدم، كما أننا نجد الشاعر نفسه ينوع معجمه الشعري من قصيدة إلى أخرى، ففي النهاية فهو بشر يتأثر بمعطيات متغيرة، وهذا حسب الحال والتقلبات النفسية والاجتماعية لديه، فلكل شاعر معجمه الخاص به حسب المقام أو بحسب الحاجة والقصد والضرورة كمتطلباته الراهنة، وهذا ما سنراه عند الشاعرة روضة الحاج.

ولو تأمل الباحث في المعجم الشعري لدى روضة الحاج يجده يمثل معجمها اللغوي الذي تنتقي منه ما تريد من الألفاظ والمفردات التي تنتجها نصوصها الشعرية وقصائدها التي تعد من مكنونات الخطاب الشعري، فالحقل الدلالي هو قطاع كامل من المادة اللغوية التي تعبر عن مجال معين من الخير، فهي تدرك مع غيرها من الشعراء المبدعين أن هذه الألفاظ التي تنتقيها تصبح ألوانها وريشتها اللغوية. إن جاز التعبير. لرسم لوحتها الفنية التي تمثل لنا صورة تجربتها المعيشة، لأنها تدرك أن الشاعر عندما يشيد بناءه الشعري لا يعمل على مجرد وضع الألفاظ ورصفها بل يضعها في سياقات متعددة وملونة قادرة على منحها دلالات جديدة بعد أن تخرجها من الدلالات الوضعية تنخرط من حقول دلالية جديدة تكشف عن أسلوب لغوي خاص يمثل هذه الحقول المعجم الخاص بالشاعرة مع بقاء الألفاظ مرتبطة بمصدرها اللغوي ، وهذا الخروج عن الدلالات المعجمية للألفاظ أكسبها دلالات جديدة تنتمي من خلالها إلى حقول أخرى تمثل المعجم الشعري الخاص بها والذي يعبر عن تجاربها الخاصة التي مثلتها السياقات الشعرية الموضوعية لتبني بذلك لغتها الخاصة والمميزة لأسلوبها الشعري ، ويبقى السياق الشعري هو المسئول عن منح الهوية الجديدة للألفاظ وتوظيفها في هذه التجربة ، كما يكون لإحساس الشاعر بالألفاظ ودلالاتها أثر في اختيارها(فالشاعر الحق هو من يتميز عن غيره بإدراكه لمعاني الألفاظ من قوة فالكلمة عنده لا تفسر بالعقل وحده، لكنها تفسر كذلك بالقلب والخيال فإذا ما ترددت لفظة في ذهنه كان لها أصوات مدوية داخل نفسه)[1].

فالألفاظ وعاء يصبَّ فيه الشاعر ليحقق لنا معاني تكون مرآة تعكس تجربته الخاصة التي تمخضت عن ظروف وتجارب عديدة. وعليه فإن الألفاظ ليس لها ملجأ تأخذ فيه خصوصيتها وتدخل في التصوير

[1] راجع، جمال الجنابي، مركز النور للدراسات.

إلا في الشعر كما أنّ المعاني الشعرية التي تحملها اللغة ترتكز على أساس مزدوج من المرجع والدال لأن الشعور يقوم باستفزاز المعاني الدقيقة في الألفاظ وإظهارها فضلاً عن دور الكلمة نفسها بما تحمله من بعد جمالي قائم على أساس أصواتها[1]. ومن خلال كل هذه الطاقات التي حققها الشعر للغة يصبح المعجم وعاء الألفاظ والكلمات، ويصبح أكثر جدوى في بناء القصيدة وأعمق أثراً؛ لأنّها تصبح صوراً من صور التجربة نفسها، وطاقة تعبيرية كبيرة تعبر عن كل المشاعر التي يعجّ بها الكلام الداخلي للذات . فالشاعر يقتنص الكلمات ذات الإيماء الفني.

والشاعرة روضة الحاج مرّت بتجارب ثرّة ومتنوعة أدت إلى تنوع معجمها الشعري، بجانب أنّ الشاعرة وليدة ثقافة عربية وإسلامية، فقد نهلت من علوم العربية بحكم التخصص في مجال اللغة العربية كما شاركت في العمل السياسي والثقافي من كل ذلك تنوع معجمها اللفظي وتعددت حقوله الدلالية فإلى جانب الألفاظ الإسلامية وألفاظ التراث العربي القديم، فقد اكتسبت العديد من الألفاظ أوحت لها بها أوضاع الأمة السياسية والاجتماعية والثقافية.

والمعجم الشعري مرتبط باللغة كالعملة النقدية ذات الوجهين لا يمكن فصل أحد وجهيها وذلك للارتباط الوثيق بينهما، فاللغة هي المادة الأساسية التي يكتب من خلالها المعجم الشعري بل ولا يتجسد إلا من خلالها، فهي المرآة العاكسة له، كونها تعتني برسم وتصوير أحوال الأمة أو حضارة ما. فهي تصف المجتمع بتفاصيله من أخلاق وأعراف وطقوس وتقاليد وآداب وعلوم بما تحمله من معانٍ. (الفاخوري، 1968م، ص636).

وإذا عدنا لدور اللغة في المعجم الشعري نجدها بمثابة الألوان الزيتية المصطبغة في نسيج رسمي، والرسام لا يستطيع إنجاز اللوحة الزيتية إلا بواسطتها، فكذلك الشاعر لا يستطيع إنجاز القصيدة إلا من خلال الألفاظ اللغوية التي تمثل في الشعر عناصر البناء. (مرتاض، 1998م، ص152).

ولهذا يمكن القول إن حياة المعجم الشعري وحركتيه مرتبطة أساساً بحركة اللغة وحيويتها داخل النص، فهي المحرك لنسيج النص إذ إنها تمثل الدورة الدموية بالنسبة للمعجم الشعري. (نور،2013م، ص123). واللغة بطاقاتها التعبيرية، وإمكاناتها الإيحائية مكوّن أساسي من مكونات القصيدة الحديثة وتشكيلها الجمالي، وقد تعاملت معها الشاعرة بحرفية عالية، حيث انتقت من مفرداتها المستمدة من

[1] المصدر السابق.

مخزونها اللغوي ما يتناسب مع تجربتها الشعرية؛ "لأن الشعر هو الذي يجدد شباب اللغة، ويعيد إليها الحيوية والنشاط بعد أن تتجمد على الأفواه وتجفَّ على الصفحات، فهو الذي يكشف بواعث الكلمات، وأسباب تشكيلها (فضل، 2002م، ص32)، فاللغة التي ورثتها الشاعرة من قمم الإبداع المستمر، وشكلت منها وبها بناءها الشعري، واللغة الشعرية التي استخدمتها ذات بناءٍ متميز، حرصت فيه على أحكام البناء، وقوة الصياغة، وصحة اللغة، وسلامة التركيب عن طريق شحنها ومدها بمعانٍ ودلالات جديدة، واشتقاق صيَغ وقوالب متنوعة من جذورها المعجمية ، واستخدامها استخداماً تتجلى فيه أقصى طاقاتها التعبيرية، وإضفاء نوع من الحياة على مفرداتها المعجمية لتعطيها دلالات ثرية تتجاوز معناها الحرفي من خلال تفاعلها في سياقها الجديد" مع ملاحظة أن معجمها الشعري تميز في الغالب بالسهولة والوضوح والابتعاد عن الحوشي والغريب من الألفاظ حتى أضحت قادرة على حمل تجربتها بما لها من خصوصية ومعاصرة.

وهي بذلك تؤدي رسالة الشاعر صاحب الفكرة والرسالة والمنهج لأن الشاعر ـ لا شك ـ يلعب دوراً بالغ الأهمية في تجديد شباب اللغة، وتوليد أنماطها التعبيرية، وتنمية طاقاتها الإبداعية وتجلياتها الجمالية، ويكون اختياره لها نابعاً من تجربته وطبيعة تلك التجربة التي يكابدها دون أن يفرض عليها لغة من خارجها، (جدوع، 2013م، ص21).

فاللغة تستمد قيمتها ودلالتها من سياقها النصي، وخصوصية الموقف الشعري والشعوري لا من كونها لغة مجردة فحسب، كما أن الشعر في الوقف نفسه لا يقوم كيانه إلا بلغة تشكل تشكيلاً خاصاً، فهو يستمد توهجه من خصوبتها وازدهارها.

ومن أكثر الألفاظ دوراناً في شعرها ألفاظ الطبيعة والرحيل والسفر وحب الوطن، وسنشير إليها إشارات قصيرة لأننا لو تناولناها بتفاصيلها لاحتاج ذلك إلى وقت وجهد كبيرين.

المبحث الثاني:

المعجم الشعري والحقول الدلالية:

أولاً: حقل الطبيعة:

إنّ علاقة الشاعرة روضة الحاج بالطبيعة علاقة قوية تبدو لنا واضحة وجلية، ففي قصائدها نرى الشغف بالطبيعة والتماهي فيها ولذلك نراها ماثلة في معظم قصائدها إن لم تقل كلها، ولعل من أسباب

تعلقها بالطبيعة منذ نعومة أظافرها ومازالت حيث النشأة في مدينة كسلا التي هي من أجمل الأمكنة إذ حباها الله جمال الطبيعة حية وجامدة. ولو تتبعنا شعرها لوجدنا هناك شبكة كبيرة من الألفاظ التي تصوّر الطبيعة وما فيها مثل:(المطر، الماء . سحابة . الخريف . الصيف . الربيع . الليل، النهار، الغابات . النجوم النسيم . السحر . القمر. الأرض . والبرق والرعد، المساء . الصباح) ففي كل نص استخدمت الشاعرة بعضا من ألفاظ الطبيعة وعبرت عن دلالاتها الواضحة فيما تحمله هذه الألفاظ من جمال ودلالات مليئة بالحياة.

. من أكثر ألفاظ الطبيعة التي حظيت بحضور كبير في نصوص روضة الحاج الشعرية "المطر" وقد وقفت الشاعرة من المطر موقفاً قريباً جداً من موقف الشاعر الجاهلي فقد وقفت منه موقف الرغبة والرهبة حيث أحست بالقلق والأرق والهيبة والخوف والتوتر والسهاد وهي تترقب سقوط المطر في عتمة الليل مع صوت الرعد ورؤية البرق الخاطف ، فهي في كل المواضع التي وردت فيها كلمة (المطر) لم تأخذها الفرحة والنشوة بحضوره وهي تستقبل المطر المنثور كالدر وقد يأتي المطر رحيماً رفيقاً فيكون له نعمة ورحمة، وقد يأتي عنيفاً رهيباً فيكون له نغمة وعذاباً، وجانب العنف والغضب كان أكثر شيوعاً من جانب الرفق والرحمة في شعر روضة الحاج فهي نفس صورة المطر عند الشاعر الجاهلي فهو يجعل الكون طوفاناً مدمراً، وسيولاً عارمة، وانقلاباً كونياً يهدم ويقلع ويُغرق ويدمر وفي بعض المواضع تستطلع الشاعرة المطر ليعبر عن رحمة السماء، وهو تعبير عن الرغبة في الطهر والنقاء والصفاء والقداسة.

من ألفاظ الطبيعة على وجه خاص

الريح كانت تطرق الشبّاك (روضة الحاج، 2011م، ص19)

في صلف عنيف

الرعد والمطر المزمجر

يا حَلْوَتِيّ

وعيد أيامي

ونومي والمطر

يامن به سافرت للربواتِ

والنجمات

قبلتُ السماء

ونمت في صدر القمر
خذني إليك
فإنه فصل الخريف
وأنا أخاف من المطر
الريح حين تَهُبّ
أدرك أنني وحدي
وضدي هذه الدنيا بأجمعها
وسطواتِ القدر
الرعدُ حين يّضُجّ
أشعر أنّه
من دون كل الناس
يعنيني بغضبته
فأقبع كالحجر
البرق حينَ يشعَّ
أفهم أنّه
سيضيئ في قلبي دياجير الحذر
ـ ألفاظ المطر والماء والأرض
وأنا وراءُ في القفار أهيمُ
والأرض الخرابْ
قد كنتُ أخشى يا فؤاد عليك
من طول السّفر (روضة الحاج، 2011م، ص47)
(المساء ـ الصبح ـ النسيم ـ السحر ـ القمر)
وضللت قلبي في الطريق (روضة الحاج، 2011م، ص 7)
نصبته في الحالكات سنا بريق
فرحاً تغنى للحياة مع المساءَ

عش للمساء وللنسائم والسحر
عش للقصيد يزور بيتك رائعاً
مثل القمر.
وقصيدة "نشاز في همس السحر (روضة الحاج، 2011، ص 25)" العنوان محتفي بالطبيعة حيث تقول:
وغداً تسافر كالمساء
وأظلَّ وحدي للصقيع وللشتاء
قل لي بربك سيدي
من لي إذا جاء المطرْ
من لي إذا عبس الشتاءُ
أو اكفهّر
وغداً ستسألني القصائد عنكَ
والليل الطوَيل
فالقصيدة مليئة بألفاظ الطبيعة (السحر، المساء، الصقيع، الشتاء، المطر، الصبح، الليل، الأصيل).
ـ وفي قصيدة (عام مضى) (روضة الحاج، 2011م، ص41)
من أجل وجهك يا صفِي القلب
أعلنتُ الطوارئ يومها صيفاً
فحاورت الغيوم البيض والأنداء
والعشب الجميل
ومنوال ثقيلْ
دُثراً تقيك البرد
في الليل الشتائي الطويل
وأتى الخريف
وحينما أرسلت للأمطار مُلْحفة
أجابتني
وخطت في أجندتها

دخولك أو خروجك
ثم جدولت الهطول

فالقصيدة حبلى بألفاظ الطبيعة "صيفاً، الغيوم البيض، الأنداء، العشب الجميل، ليلاً، ضوء، البرد، الليل الشتائي الطويل، الخريف الأمطار".

ومن قصيدة (بلاغ امرأة عربية)، (روضة الحاج، ص73).

أوصاف عطري
هل شممت عبير مسك الاستواء
في الغاب والأحراش والمطر العنيف
وكل سطوات الشتاء
والرائعون السُمر
يفترشون هذي الأرض في شمم
ويلتحفون أبواب السماء
جمعت عطري من بريق عروجهم

فقد اتشح النص الشعري بمجموعة من ألفاظ الطبيعة مثل: (الغاب . الأحراش، المطر العنيف، الشتاء، الأرض، السماء، الحقول الخضر، الريح الإعصار، السحب...).

وفي بعض نصوص الشاعرة نجد المطر عندها يمثل لحظة التذكر الذي هو ليس وليد العلم والإرادة الواعية بقدر ما هو وليد الحدس الجماعي والخيال الجامح ومع هذه اللحظة الوليدة التي ارتبطت بالرغبة في لقاء من تحب، وربما تستطلع المطر، وتأرق في ترقبه، وتتعذب في انتظاره؛ وهذا واضح في قصيدة (لك إذا جاء المطر) (روضة الحاج، مايو 2007م، ص13) التي زاد احتفاؤها بالمطر حتى جعلته عنواناً لهذه القصيدة حيث تقول:

واحترتُ في سرِّ احتدام تذكري
لك بالمطر
ما لاح في الأفق البعيد قدومه
إلا وأعياني التصبر والحذر

وبعد أن تمتلئ السماء بالسحب وأصوات الرعود وأضواء البرق الساطع وتعتري حالة الخوف المرتبطة بالمطر مخيلة الشاعرة، وفجأة تتبدل الصورة فيتحول المطر من حالة الخوف والترقب إلى حالة الإلقاح والإخصاب والتزاوج حيث تمتلئ صفحة السماء بالمطر الذي ينهل منتشياً يحب الأرض حيث يعزف أغنيات السعد للغابات والصحراء والأطيار، وتهب الأنسام ليلاً حيث تنام على هدب الأماسي إذ تقول:

ويهزني صوت المطر
ينهل منتشياً بحب الأرض
يعزف أغنيات السعد للغابات
والصحراء والأطيار

ثانياً: حقل السفر والرحيل:

تتجلى فعالية النص الشعري من خلال بنيته الدالة التي تتحرك وفق ما يلح عليه الشاعر من دلالات يبثها نصه، سواء كانت دلالات تنطلق من مكامن الذات. أم من منطلق الرؤية الذاتية للعالم، وإشكاليته الخصبة المتنوعة، ويغدو... فعالاً في التأثير والاستجابة لدى القارئ وذلك عبر إشاراته الفنية واللغوية.

ومن الظواهر التي أسهمت بوضوح في تشكيل معجمها الشعري وحملت بين طياتها دلالات إيحاءات برزت بوضوح في تشكيل المفردة التي شكلت البناء اللغوي الذي أدى بدوره إلى إيضاح الفكرة.

ففي كثير من النصوص الشعرية لدى الشاعرة روضة الحاج نجدها قد أدارت في شعرها ألفاظ الشفر والرحيل ومن نماذج ذلك:

من قصيدة (نشاز في همس السحر) (روضة الحاج، 2001م، ص:28.)

وغداً ستسألني المرائي
عندما يأتي الأصيل
سأقول سافر كالمساء
وظللت وحدي للصقيع وللشتاء
نسيَ المسافر يا فؤادُ (روضة الحاج، 2001م، ص:42)
نزيف جرحك والقصيد
وما حكيت وما رويت

فهل تحَارْ
قَدَر أراد.
ومن قصيدة (بداوة) (روضة الحاج، 2001م، ص75):
سافر معي:
أو ثر.... ومرني بالبقاء
أحتاج أحياناً لبعض بداوةٍ
تقصي التحدي عن دمي
وتعيدني قسراً
إلى خدر النساء
وفي قصيدة (أنا راحلة) (روضة الحاج، ص:21)
حيث قالت:
أنا راحلة
ما عادت مقلتاك.... مدينةٌ
أو قرية
أو موضع ارتاح فيه
أنا راحلة
صعب رحيلي...أعترف
جزعٌ هو القلب المغالب والنزف
إنا سنرحل
ففي هذا المكان فقدت ذاكرتي
وبوصلتي
وقلباً يرتجف

ونلاحظ في هذا النص أنّ الشاعرة قد جعلت من جملة (أنا راحلة) جملة وصلية تنتظم القصيدة مما منحها غنائية عالية اكتسبتها من الجملة الموسيقية المنسقة مما أسهم في تعميق الدلالة التي تحركت منذ بداية النص حتى نهايته من خلال إطار الجملة الاسمية الخبرية (أنا راحلة) وقد جاء هذا التكرار

مؤكداً ثبات الموقف على امتداد القصيدة التي جاء مضمونها الداخلي تفصيلاً وتوضيحاً للعنوان بدلالته الكثيفة، كما جاء مقطع النهاية قائلاً هذه الدلالة ومازالت الشاعرة ترفدنا بمترادفات (السفر والرحيل) تقول في قصيدة(مطارات المنى الممراح) (روضة الحاج، ص:57)

آه من لفح الهجير
في الدروب المشعلات الحزن فيَّ
في مشاوير السعير
بشروني يا رفاقي
إن دنا ركبي إليكم
وأنا أحدو المطايا
كي يواصلن المسير

وفي قصيدة (مدن المنافي) (روضة الحاج، ص 11) إذ تقول:

واحتجتَ صوتكَ كالنشيد
يهزَّ أشجاني
ويمنحني جواز الارتياح
وعجبت كيف يكون ترحالي
لربعٍ بعد ربعك
في زمان يا ربيع العمر لاح؟!

ومن ذلك قولها في قصيدة (لك إذا جاء المطر): (روضة الحاج، ص:27)

فما أدرى إلى أين المفر؟
أتراك توصي السحب
حين تروم ناحيتي الرحيل

وفي قصيدة:(خمسٌ لوجهك والقمر) (روضة الحاج، ص: 21) في (معزوفة ثانية):

وآتيك لا خيل لا مال عندي
ولا القول يسعد أو يستريح
ثيابي مبللة بالمطر

وعيني مسكونة بالسفر

وفي المعزوفة الخامسة (روضة الحاج، ص: 23) في القصيدة نفسها تقول:

يقولون ويحي حديثاً جلل

بأن الرحيل الذي كنتُ أخشاه حل

ولأن الشاعرة مسكونة بالسفر والرحيل على حد قولها. فقد جعلت كلمة (رحيل) عنواناً لبعض قصائدها. وأيضاً جعلته عنواناً لقصيدتها (أنا راحلة)

ففي قصيدة (رحيل) تقول:

تُبدد بالرحيل أمان قلبي

فديتك لا تُعد ذكر الرحيل

أتبخل بالمقام علىّ حيناً

وعند رباك من صيفي مقيلي

ودع لي الحزن يا هذا أمانة

تعودت ارتحال الصحب عني

ولكن لارتحالك بات دني

يضج من الشجون فليت أني

أضيع الدرب يوم لقاك مني

وليت وليت لكن ويح قلبي

ينادي ليت لكن لا تُعنى

وفي قصيدة (وجع المسافات الشجن) (روضة الحاج، ص: 41)

ورحلت

ودعّتِ الرؤى الخضراء دربي

غادر الغيم الطريق

ولفني صمت المقابر والسكون

ورحلت

ما عادت مدينتنا عروساً يا أنا

وأنا بُعَيْدك من أكون

وفي هذه القصيدة نجد الشاعرة قد اختارت جملة (ورحلت) فهي جملة وصلية قد خدمت النص الشعري موسيقياً إلى جانب ان تكرارها وفعليتها توحيان بتجدد هذا الرحيل المر.

وفي قصيدة (عنتُ الرحيل) فهي كسابقتها حيث جعلت الرحيل ومشقته عنواناً لهذه القصيدة حيث تقول:

وأشدّ رحلي يا ربيعُ يشدني

جرح بقلب القلب ينزف متعباً

إلى أن تقول:

رغمي سأرحل

رغمّ قلب راجف تعب

إذا ذكرته إنا سنرحل

ضج بالأشواق سافر

دار مخبولاً...كبا.

ومن خلال قراءتي لديوان (مدن المنافي) أجد أن الشاعرة قد كررت ألفاظ السفر والرحيل، وقد دارت هذه الألفاظ في معظم قصائد الديوان وهي تشي بالصور السالبة للسفر والرحيل. فقد رسمت الشاعرة للسفر والرحيل صورة حزينة وكئيبة حيث تتأجج لديها مشاعر الأسى والألم وخاصة في قصيدة (عنت الرحيل) ففيها حشد كبير من ألفاظ الألم والحزن والأسى مثل (جرحٌ بقلب القلب ينزف متعباً، صبراً يا فؤاد، فينتشي وجعاً ويبدو الأفق مسوداً حزيناً، يأبى ويجهش بالبكاء . ندوب القلب . ضمدت جرحاً رغم قلب واجفٍ تعب. دار مخبولاً . والهموم . وكوم أشجاني.. حين تختنق القصائد في دمي . الأمسيات أخافها . كالغريق ترك الأمواج صرخته.)

ثالثًا- حقل الحب:

لقد شاعت في قصائد الشاعرة روضة الحاج مجموعة من الألفاظ التي ارتبطت بتجاربها الوجدانية والعاطفية مثل: (أشتاق . الفرح . نبض القلب . أحسك في دمي سحراً. سنا القلب العميد . محياك الحبيب، شوقٌ فاضحٍ، يا منتهى شوقي...إلخ.

وفي مقدمة ديوان "مدن المنافي" التي خطها قلم الشاعر الناقد مصطفى سند التي جاءت بوصفها مفاتيح أو بوابة يعبر منها كل من أراد أن يدخل في عالم شعر روضة الحاج يقول. إنه شعر يبتدئ حيث ينتهي... القصيدة فيه لا يسكت صوتها حين يصمت النص... ولكنها تشرع عندئذ في التعالي لإثبات سطوتها وسلطانها على المتلقي" (روضة الحاج، ص: 3)

ثم يردف قائلاً:" ومثل هذا الشعر لا بد أن يقرأ بروح صافية، ومزاج عال من الاحتشاد والحب. فهو حب من أوله... إلى آخره حب كل شيء ـ الوطن ـ النضال ـ والإنسان والقيمة والجسارة والنفس.

إذن فالحب عند الشاعرة يتخذ صورة الواهب الذي يمنح السعادة والهناء، بل تلمح في كثير من قصائدها أن الحب أساس الوجود. وما كشف عن تلك الأهمية في صورة الحب ذاك الاصطفاف للألفاظ قد جاء متساوقا مع هذه الصورة الإيجابية للحب. فإليك نصاً شعرياً يفيض حباً وحناناً وهو من شعر الأمومة والبنوة، فالقصيدة جاءت تحت عنوان (إلى محمد) حيث تقول:

لك يا محمد ما استراحت (روضة الحاج، ص: 63)

خيل أشواقي
ولا قلبي استراح
أشتاق وجهك يا صباح الشرق
تدفع عن دمي الموبوء
بالأشجان أحزاناً تضمدها الجراح
أنا أين من عينيك ويحي
في مساءٍ لفني صخباً
وأزعجني صياح
بل أين منى قهقهاتك ضاحكاً
تمتد حولي أنتشي
وأغيب في الفرح المتاح
هيا أغثني يا محمد إنني
ضجراً وأشواقاً سأقضي
ريثما ألقاك

في الزمن المباح
طوّق بكفك يا محمد معصمي
أخفي الدفاتر واختفِ
أصرخ بأذني ما زحاً
لطخ بكفك ما تشاء
إن شئت الملاءات النظيفة
والمقاعد لن أثور
دُر في فضاء البيت
قل لي محمد:
كيف يبدو البيتُ بعدي في المساء
الشاي والتلفاز والضوضاء
والصخب الجميل
وأنت تصطنع البكاء
أو لم تزل ذاك الشقي
يضح يوماً في العشاء؟
الله من شوقي إليك محمد
والقلب يهتف في المساء
لا تمشِ من غير الحذاء
. أغسل يديك قبيل أو بعد العشاء
. لا تلتفت إن كنت في حال الصلاة
. الحق محمد بائع الألبان جاء
الله من بُعد ألح
ومن حنين أُلتوى من ناره
وحدي محمد
اصطلي بلهيبه وحدي

وأشقى بالرحيل
أنا كنت مالي
واختيار الوعر من دون السبيل
أشتاقك الآن الصباح العذب
والعصر الجميل
أشتاق همسك في العشيات الندية
بعد أن يمضي الأصيل
أنا قد حفظت
لأجل وجهك يا محمد
ألف أحجية وأغنية
وموّال طويل
وحجزت تذكرة التراجع
نحو شطان التوحد
والأمان المستحيل
لكنهم
رفضوا جميع تذاكري
وعلى المداخل
في المدينة علقوا
وجهاً كوجهك في دمي
وجهاً يُقرّر وجهتي
وجهاً يحددُ قبلتي
وجهاً يصادر مهجتي
وجهاً يعلمني الحياة
ويشتري
مني الذبول.

وفي هذا النص الشعري قد اختلطت ألفاظ الحب بألفاظ الحزن، وشاعت بالقدر الذي عبرت به عن مشاعرها القلقة الحزينة التي تصور لنا ما سببه لها الرحيل والسفر من الألم والحزن والأسى مثل (ما استراحت خيل أشواقي . دمي الموبوء، أحزاناً تضمدها الجراح، هيا أغثني، ومن حنين أكتوى من ناره اصطلي بلهيبه وحدي، وأشقى بالرحيل.)

فالمعاني والألفاظ التي صيغ منها هذا النص الشعري تكشف لنا مشاعر وجدانية اختلط فيها الحب والفرح بالحزن والكآبة، فهي مشاعر وجدانية مليئة بالمرارة والألم تحققت من خلال علاقة الذات بالآخر فتحس أن أحزانها أصبحت لا تفارقها، ونتيجة لذلك الشعور شاعت في لغة النص ألفاظ عبرت عن حجم المعاناة بسبب فراق صغيرها، وبهذا انتشرت ألفاظ الحزن بسبب شعورها حتى باتت مستودعاً للحزن والألم.

ومن هذا الحب ما أفاضت به على الوطن، وقوة الارتباط به بشكل عميق، وهو فضاء يتسع للتعبير عن موقف الذات الشاعرة حيال إفرازات الواقع داخل بلادها، والواقع العربي وقضاياه، ومن هنا نجد أن نصوصها الوطنية تلوذ برؤية شعرية تاريخية، لأنها تتناول الواقع، وتتحدث عن العصر الراهن حتى تتشابك خطوط الحاضر مع عبق الماضي، وبالتالي فإن الرؤية التاريخية تكون مشكلة بجوهر هذه النصوص، حيث تستعيد الماضي للاستلهام واستشراف المستقبل بحثاً عن واقع مثالي أفضل.

إن هذا الفضاء يجلّي الرؤية الشعرية الشاملة للخطاب الشعري وللبنية الدلالية لدى الشاعرة، وهو فضاء شكل عالماً واسعاً ورحباً للتجربة الشعرية والرؤية الجمالية والتعبيرية الخاصة بالشاعرة مع ملامسة ما ينجم عن هذا الأفق من تجارب ومواقف.

وخلاصة القول فالكتابة الشعرية عند روضة الحاج تنجدل عبر ضفيرة غنائية درامية، يتم فيها مزج مكان الذات بما هو موضوعي وواقعي، وإذا كان ما يرتبط بالذات موضوعياً ، يتمثل في البعد المونولوجي الغنائي باعتبار أن الذات الشاعرة تتلقى في لا وعيها أو في وعيها الكامل للتعبير عن حالات من الغبطة والفرح أو الشجن والحنين كما لاحظنا ذلك في قصيدة (إلى محمد) فقد عبرت الشاعرة تعبيراً حميماً قد تجلى في هذه القصيدة، وفي الحقول الدلالية التي أبرزتها النصوص، وفي إيثار الجانب الإيقاعي تبعاً للحالة النفسية والعضوية لهذه الذات.

فإن ما يرتبط بما هو موضوعي هو النسق الدرامي الذي يعيد ابتكار الأحداث في تواترها وتوترها. وتعدد شخصياتها وأصواتها، وهي بالضرورة أحداث وأصوات متنافرة كانت أم متوافقة تعبر عن واقع متغير مثل

حال الأمة العربية، ومتبدل لا تثوى فيه الذات المراقبة ولا تقرّ إلا في تحويل هذه الأحداث والأصوات إلى نص جمالي متحفز ومغاير.

إلى جانب أن شعرية روضة الحاج تنأى عن التعقيد والبنية المسطحة وتحفل بالتعبير الموحي الجلي الذي يتخذ التلقائية التعبيرية مهاداً جوهرياً لتجربة الكتابة الإبداعية حتى تتشكل النصوص الشعرية من نوع العناق الحميم المشبع بدفء الأنوثة بين الذات والعالم، فالذات الشاعرة التي تعايش الحدث أو تعيشه، وتتأثر به، وتؤثر فيه هي الأخرى بشكل ضمني من خلال قراءته وتمريره على الرؤية الشعرية التي تعيد تشكيله من جديد وتحوله من زمنه العابر إلى فعل جمالي ثابت له ملامحه وتقاطيعه التعبيرية.

الخاتمة:

رصدت هذه الدراسة بموضوعية وفنية الدلالة اللغوية والاصطلاحية للمعجم الشعري في شعر روضة الحاج، وقد تناولتُ فيه أبرز الحقول الدلالية في شعرها مثل حقل الطبيعة، وحقل السفر والرحيل، وحقل الوطن.

وتوصّل الباحث إلى نتائج أهمها:

1- أثبتت الدراسة أن الشاعرة تعد نموذجا للشاعر الذي يتجلى في لغته.
2- يتميز المعجم الشعري بالتوسط بين مفردات اللغة المعاصرة ولغة التراث.
3- للشاعرة كفاءة لغوية مكنتها من التشكيل اللغوي المتلائم مع مضامين النصوص الشعرية.
4- الكفاءة اللغوية ساعدة الشاعرة في نقل إحساسها اللغوي من خلال انتقاء المفردات اللغوية المناسبة لأداء المعاني.

المصادر والمراجع:

أولا: المصادر:

1. الحاج، روضة ديوان ،2011م، عِش للقصيد، ط6.
2. الحاج، روضة . 2011م، ديوان في الساحل يعترف القلب، ط4.
3. 3الحاج، روضة ديوان . مدن المنافي .. ط2. 2007م.
4. 4الحاج، روضة، 2011م، ديوان، للحلم جناح واحد، ط4 .

ثانياً: المراجع:

1 نور، سيد محمد، 2013م، المعجم الشعري عند الأخضر السائحي، ط1.
2 فضل، صلاح، 2002م، تحولات الشعرية العربية، الهيئة، ط2. المصرية للكتب.
3 جدوع، عزة، 2013م، الشعر العربي المعاصر والتراث. ط3. الرياض: مكتبة المتنبي.

4 الجيار، مدحت الشاعر والتراث، دون تاريخ، دار الوفاء للطباعة . الإسكندرية .
5 علوش، محمد، 1985م، معجم المصطلحات الأدبية المعاصر. ط1. دار الكتب بيروت.
6 تليمة، عبد المنعم، 1978م، مدخل إلى عالم الجمال. ط1. دار الثقافة . القاهرة .
7 إسماعيل عزالدين. 1978م. الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية. ط1. دار الفكر العربي . القاهرة .
8 الحسناوي، محمد، بدون تاريخ، دراسات في الشعر العربي قديمه وحديثه. دار عمار. الأردن.
9 الجاحظ 1992م. البيان والتبيين، تحقيق يحيى الشامي. ط1. دار الهلال بيروت.
10 ابن جني. 1985م. سر صناعة الإعراب. تحقيق: حسين هنداوي. ط1. دار القلم بيروت.
11 مفتاح، د. محمد، تحليل الخطاب الشعري . استراتيجية . التناص،1986م. ط1. المركز الثقافي. المغرب.
12 الفاخوري، حنا. 1968م. منتخبات في الأدب العربي. ط1. بيروت. المكتبة البوليسية.
13 مرتاض، د. عبد الملك. 1998م. السبع المعلقات دمشق. اتحاد الكُتّاب العرب.